وكانوا شيعًا: دراسات في التنظيمات الجهادية المعاصرة

And They Became Sects: Studies in the Contemporary Jihadist Organizations

المؤلف: إدريس الكنبوري
Driss Elganbouri

عرض: أحمد الغريب - Reviewed by Ahmed Algharib

يتناول الأكاديمي المغربي إدريس الكنبوري في كتابه (وكانوا شيعًا: دراسات في التنظيمات الجهادية المعاصرة) قدرة التنظيمات الجهادية -وعلى رأسها قدرة تنظيم داعش الفائقة- على الافتراس والوحشية بشكل فاق التصور والمخططات العسكرية التي انتهجها، والإستراتيجية الإعلامية التي وضعها لتجنيد أتباع له من خارج المنطقة العربية الإسلامية، وقد نجح التنظيم فيما عدّه الكاتب عولمة العمل الجهادي بطريقة لافتة تجاوزت المستوى الذي أظهره تنظيم القاعدة.

ويؤكد الكاتب أن نهاية التنظيم لا تعني بأي شكل من الأشكال هزيمة الفكر الجهادي وزواله، إذ إنه على مدار ثلاثة عقود حدث تراكم ضخم في الأدبيات الجهادية التي تشكل غذاء للتنظيمات الجهادية حول العالم، وتعيد معها صياغة النزعة الجهادية أكثر فأكثر، مع إمكانية الولوج والوصول إلى مناطق أبعد لم يكن في التوقع الوصول إليها.

ويرى الكنبوري أن المشكلات الأمنية المتصلة بالحركات الجهادية ستتزايد؛ بسبب غياب المركز الوحيد في العمل الجهادي، وتعدّد المراكز، وتنوع التعبيرات. ويدلّ هذا التعقيد في الظاهرة الجهادية على أن المواجهة العسكرية والأمنية ليست كافية في محاربتها، بل لا بد من استصحاب جملة من الإجراءات العملية على الأرض، مع تأكيد أن مدخل الإصلاح الديني بمفرده لا يقود، في نظره، إلى نهاية هذه الظاهرة، بل على العكس قد يكون وقودًا لها في العالم العربي الإسلامي؛ بسبب الاستمرار في اتهام الحكومات بالتساهل في الأمور المتعلقة بالدين، ما لم تصاحب تلك المبادرة مداخل أخرى للإصلاح على الصعيد الداخلي وعلى الصعيد العربي عمومًا، عبر الإصلاحات السياسية والاقتصادية، وحل المشكلات الكبرى العالقة، وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

قسم إدريس الكنبوري كتابه إلى تسع دراسات رئيسة، جاءت الأولى بعنوان (من القاعدة إلى داعش: تغيير الباراديغم الجهادي)، تناول فيها المؤلف التحول الجديد الذي حصل في الحركة الجهادية من القاعدة إلى (داعش)، وما ترتب عن ذلك على مستوى البنية الفكرية لكل منهما، ثم علاقة ذلك التحول بصورة الإسلام والمسلمين لدى الآخر، ويؤكد الكاتب في دراسته أنه من باب العدل والإنصاف يجب القول إن فكر التطرف وفقهاء التطرف في الإسلام لقيا محاربة لا هوادة فيها من لدن العلماء والفقهاء على مر التاريخ، إلى يومنا هذا، ومؤكدًا كذلك أن الفقه الإسلامي ليس كله فقهًا متشددًا كما يروّج البعض للنيل من الإسلام والمسلمين، كما أن الفقهاء والعلماء ليسوا جميعًا في صف

التطرف، معتبرًا أن الشّق المتطرف في الفقه الإسلامي وللأسف هو الذي لقي رواجًا طيلة العقود القليلة الماضية بسبب التحولات السياسية وغير السياسية التي شهدتها المنطقة.

واشتغل المؤلف في الدراسة الثانية (البغدادي وحلم رشيد رضا) بالحديث عن العلاقة الممكنة بين ما نظّر له محمد رشيد رضا، أحد رواد الإصلاح الأوائل في العالم الإسلامي، حول اقتراح إقامة الخلافة في الموصل بعد انهيار الخلافة العثمانية في عشرينيات القرن الماضي، وبين اهتمام تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام بهذه المنطقة من العراق.

وتناول الكنبوري في الدراسة الثالثة (التوحيد وأثره على النظرية السياسية لجماعات السلفية الجهادية) مسألة التوحيد في الإسلام، وكيف صاغ منه الجهاديون رؤية سياسية، ملقيًا الضوء على أهم العلماء الذين نادوا بالتمييز بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء، وعلى رأسهم ابن تيمية (661-728هـ/ 1263-1328م)، مشيرًا إلى أن تنظيرات ابن تيمية مهّدت السبيل أمام الحركات الإصلاحية التي ظهرت في القرون التالية له، وكذلك الإمام محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر وأفكاره التي عمل من خلالها على تجديد التوحيد وتنقيته من الشرك، ثم عرّج بعد ذلك على الحديث عن فكر أبي الأعلى المودودي في الهند خلال النصف الأول من القرن الماضي، كما أنه تناول مساعي سيد قطب في مصر لتطوير مفهوم (توحيد الحاكمية) الذي وضعه المودودي، معتبرًا في كتابه (معالم في الطريق) أن التوحيد منهج حياة، وأن كلمة التوحيد هي القاعدة الرئيسة التي يقوم عليها أي مجتمع مسلم، وأنه لا مجتمع مسلمًا خارج هذه القاعدة، ويرى الكاتب أن سيد قطب قام بتعريب المفهوم الذي وضعه المودودي، بنقله من المناخ الهندوسي إلى المناخ المصري، وأنهى الكاتب هذه الدراسة بالحديث عن المفهوم ذاته في فكر التنظيمات التي ظهرت بعد ذلك داخل مصر.

أما الدراسة الرابعة فتتناول (داعش والإستراتيجية الإعلامية)، حيث فصّل فيه الحديث عن الإستراتيجية الإعلامية لتنظيم الدولة، من خلال الولوج داخل المنظومة الإعلامية للتنظيم، شارحًا للقارئ الأسس التي تقوم عليها إستراتيجية التنظيم في هذا الصدد.

وسعى الكاتب في الدراسة الخامسة (داعش ومفهوم الدولة وقضية التمكين) إلى طرح تساؤل عن مفهوم الدولة لدى هذا التنظيم، من خلال دراسة بعض أدبياته التي استقت رؤيتها من التراث الإسلامي، وأعادت قراءته من زاويتها الخاصة.

أما الدراسة السادسة (داعش والقاعدة: الخصومة السياسية والخلاف الشرعي) فقد خصصها الباحث لدراسة إشكالية العلاقة بين تنظيم الدولة وتنظيم القاعدة، ومحاور الصراع بين الطرفين، ومستويات الخلاف والاختلاف على الصعيد المنهجي والفكري، وانعكاس الحالة السورية على وضع العلاقة بين الجانبين.

أما في الدراسة السابعة من الكتاب (مستقبل العلاقة بين القاعدة وطالبان) فقد عالج فيها المؤلف مستقبل العلاقة بين تنظيم القاعدة وحركة طالبان الأفغانية في مرحلة ما بعد مقتل أسامة بن لادن ورحيل مؤسسها الملا محمد عمر.

وسلّط الباحث الضوء في الدراسة الثامنة (داعش وطالبان: التفكير الديني والتمدد السياسي) على الصراع بين تنظيم الدولة وحركة طالبان، متحدّثًا عن الاختلافات بين التنظيمين، وطبيعة الجدل القائم بينهما حول مشروعية تمثيل الإمارة الإسلامية لدى

الحـركات الجهادية، والتباين بين الطـرح الوطني لدى حركة طالبان والطرح العام المرتبط بفكرة (الأمة) لدى تنظيـم الدولـة، ويغوص الكنبـوري في هذه الدراسـة موضحًـا ومحلـلًا العلاقـة الفكريـة والتنظيميـة بـين تنظيم الدولة الإسـلامية وحركة طالبان في أفغانسـتان وباكسـتان، وموقـف الحركـة مـن بيعـة البغـدادي، وكذلـك موقـف تنظيم الدولـة من طالبان ومـا يتعلق باتهام الحركة بمخالفـة المنهج الجهادي الذي يقوم على تكفـير الديموقراطيـة والانتخابات وجماعـة الإخوان المسـلمين، وذلـك في أعقـاب إصـدار طالبـان بيانًا في يوليو 2012 ترحب فيه بانتخاب الدكتور محمد مرسي لرئاسـة مـصر، واعتبارها ذلـك فوزًا لإرادة الشـعب، وكذلك إصدارها بيانًا آخر في مايو 2015 تشجب فيه الحكم الصادر بإعدام الرئيس مرسي.

وأخـيرًا جـاءت الدراسـة التاسـعة (مشـايخ الجهـاد في مواجهـة داعـش: نمـوذج أبي قتـادة الفلسـطيني) حـول العلاقـة بـين تنظيـم الدولـة ومشـايخ الجهـاد، مـن خـلال حالـة أبي قتـادة الفلسـطيني، لتلقـي الضـوء على الجـدل القائم بين الجهاديـين حـول الجيل الأول من منظـري الجهاد، واتهامـه بالتخـلي عـن الأدبيـات التي صاغهـا قبل المراجعـة الفكريـة التـي قـام بهـا عـدد مـن أبـرز الوجـوه في ذلـك الجيـل، وعـلى رأسـهم أبـو محمد المقـدسي وأبـو قتـادة الفلسـطيني.

والجديـر بالذكـر هنـا أن كتـاب (وكانـوا شـيعًا: دراسـات في التنظيـمات الجهادية المعـاصرة) صدر عن مطبعـة طوب بريـس بالمغـرب سـنة 2016، وجاء في 200 صفحة من القطع المتوسط.